أمراض الكلام عند الحاج صالح
-"الحصر" أنموذجا–

Speech diseases in Hadj Saleh's
- "el hasr" is a model-.

كلثوم رحموني[1]

[1] جامعة يحي فارس المدية (الجزائر)، rahmouni1492@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/2806 تاريخ القبول: 2021/10/23 تاريخ النشر: 2021/12/20

ملخص:

تمثّل دراسات الحاج صالح في جوهرها تحيينا للتراث اللغوي العربي وفق نظرة حديثة وبصياغة منسجمة موافقة لما هو موجود في النّظريات اللّسانية الغربية، إذ تطرّق إلى العديد من القضايا اللسانية، جعلت منها محطّ اهتمام الدّارسين المعاصرين، ومن بين هذه القضايا نجد ما يتعلّق بأمراض الكلام، التي تعدّ من بين الموضوعات الهامّة التي تناولها الدّرس اللّساني النّفسي المعاصر، لذا نروم من خلال هذه الورقة البحثية إلى تعريف الباحث بجزء من هذه الدّراسة، وذلك من خلال عرض المصطلحات التي تناولها والمفاهيم التي قدّمها في مجال أمراض الكلام، مركزين على مصطلح الحصر باعتباره مصطلحا مفتاحيا يؤسس لقاعدة مفهومية قوية في هذا المجال.

كلمات مفتاحية: أمراض الكلام؛ الحصر؛ علاج أمراض التعبير؛ الهراء؛ الحبسة.

Abstract:

The studies of Abd al-Rahman al-Hajj Saleh represents in its essence a re-reading of the Arabic linguistic heritage according to a modern view and in a harmonious formulation consistent with what is present in Western linguistic theories, as "Haji Saleh" dealt with many linguistic issues through it,

which made it the focus of attention of contemporary scholars. Among these issues we find those related to speech diseases, which are considered to be as important topics dealt with in the contemporary psycho-linguistic lesson, especially what relates to artemisia. Therefore, we intend, through this research paper, to introduce the researcher to a part of this study carried out by Abd al-Rahman al-Hajj Saleh, through exposure to the terms, he covered the concepts he presented in the field of speech diseases.In our study, the focus is on the term "el hasr" as a key term that establishes a conceptual basis Strong in this area.

keywords: Speech diseases; el hasr; Treatment of expression diseases; Bullshit; Aphasia.

1. مقدّمة:

يعتبر موضوع "أمراض الكلام" من بين الموضوعات التي كانت نتاج تعالقات وتداخلات مجموعة من المجالات منها اللسانية والنفسية وحتى الطبية. وهو ما أفرز منظومة مصطلحية متضخمة ومتداخلة، حيث إنّ كثيرا من المصطلحات لم يستقر الحال على صيغتها العربية، وتباينت الترجمة العربية لها، والذي حال في كثير من الأحيان دون فهم عديد القضايا المتعلقة بأمراض الكلام (من حيث تشخيصها ومعالجتها)، فقد حاول الكثير من الباحثين بمختلف تخصصاتهم ضبط المصطلح أو تحديد المفهوم بحسب زاوية نظره، وذلك بغية رفع اللبس الذي اعترى هذا الموضوع، ومن بين الباحثين الذين اجتهدوا في هذا الموضوع نجد الحاج صالح –رحمه الله– الذي سعى إلى وضع مصطلح معبر وحاول رسم الحدود المفهومية لكل مجال لساني.

سنحاول في هذه الورقة البحثية تقديم قراءة وصفية تحليلية للمصطلحات والمفاهيم التي قدّمها الحاج صالح في مجال أمراض الكلام مركزين على مصطلح "الحصر"

منطلقين من إشكالية رئيسة مفادها: كيف تناول الحاج صالح المفاهيم المتعلّقة بأمراض الكلام عامّة ومفهوم الحصر خاصّة؟ والتي انبثقت عنها التساؤلات الآتية:

- ما مدى علمية المصطلحات التي قدّمها الحاج صالح في هذا المجال ودقة مفاهيمها؟
- وهل يمكن أن تكون أرضية يرتكز عليها الباحث في هذا الموضوع مستقبلا؟.

أمّا الهدف من هذه الدّراسة فيتلخص في معرفة كيف تعامل الحاج صالح مع المصطلحات والمفاهيم الخاصة بأمراض الكلام من خلال مصطلح "الحصر" خاصّة وأنها تجمع من المفاهيم اللسانية الغربية والتراثية من جهة، واختلاف المجالات البحثية من جهة أخرى (اللسانية، والنفسية، وحتى الطبية). ولنجعله أرضية نرتكز عليها في استعمال المصطلحات الخاصة بأمراض الكلام. وتقديم المفهوم الدّقيق للمرض الذي قد يساعد على علاج الحالة.

ووفقا لهذا سنعرض لأهم المصطلحات والمفاهيم التي وظّفها الحاج صالح في هذا المجال، مركزين على مصطلح الحصر باعتباره من بين المصطلحات المفتاحية في مجال أمراض الكلام بالنّظر إلى الحمولة المفهومية التي يمتلكها، لنذيل بحثنا في الأخير بخاتمة ترصد أهم النتائج المتوصل إليها.

2. أمراض الكلام عند الحاج صالح:

لقد أولى الحاج صالح هذا المجال أهمية واضحة، إذ اعتبر «الميدان الخاص بآفات التعبير كأنواع الحبسة والحكلة وغيرهما من العاهات التي قد تصيب الإنسان في قدرته على التعبير أو على فهم وإدراك ما يبلغه من الخطابات المنطوقة والمكتوبة (ويسمى بعلم اللسان المرضي)» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 220) من بين الموارد الثلاث الأساسية التي يحتاجها علماء اللسان وعلماء النفس والتربية الذين يشاركونهم في موضوع بحثهم.

وقد عرض صاحب النّظرية الخليلية في كتابه "بحوث ودراسات في علوم اللسان" العاهات الكلامية بنوع من الشّرح والتّفصيل، والذي حصرها في مفهوم الحبسة حيث يقول: «إنّ الاضطرابات التي تعتري الكلام، بسبب آفة تصيب جهة معيّنة من الدماغ، أو أكثر من جهة (وهي التي أطلق عليها الأطباء العرب المعاصرون اسم "الحبسة" نوعان» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 220).

1.2 مصطلح "الحصر":

يعدّ النوع الأول للحبسة، وهو مصطلح تراثي محض استعمله الحاج صالح للدلالة على الحبسة بمعناها اللغوي الأصلي أي أنّ الحصر يتعلّق بوجود خلل على مستوى أعضاء النّطق كما أشار إلى ذلك الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين".

ويتجلّى الحصر حسب الحاج صالح في عدّة تمظهرات «فيكون كلامه إما غمغمة مبهمة لا تفهم (مستوى الحروف) وإما ثغثغة أو عفك (مستوى الكلم والألفاظ) أو عسلطة (وهو الكلام الذي لا نظام له) وتسمى هذه العاهة في هذا المستوى بالمصاباة (صابى الكلام: لم يقوّمه ولم يجره على وجهه)» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 220).

وهذه التجليات تتدرج حسب المستويات اللغوية بدءا بالمستوى الصوتي الذي يمثله مصطلح الغمغمة bafouillage .

الغمغمة «مصدر بزنة "فعللة"، من فعل رباعي لازم، في الدلالة على النطق الملبس المتداخل بعضه في بعض مع الصوت الخفيض» (الأقطش، د، ت، صفحة 11)، ثم المستوى الصرفي والذي يمثله مصطلح ثغثغة بمعنى «ثغثغ الطفل في الشيء: عضه قبل أن تنبت أسنانه. و- المتكلم كلامه، وفي كلامه: لم يفصح، لسوء النطق أو لفساد نظام القول. فهو ثغثاغ» (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 96) وصولا إلى المستوى التركيبي الذي يمثله مصطلح عسلطة.

وكلّ من مصطلح: الغمغمة والثغثغة، والعفك، والعسلطة من المصطلحات التراثية التي خلّفها الخليل وسيبويه والجاحظ... إلخ، وقد عمل الحاج صالح على إحيائها، فـ «لعبد الرحمن الحاج صالح وقفة قيمة على المصطلحات الأصيلة من خلال التراث اللغوي» (ضيف الله، 2017، صفحة 163) .

وهذا من فكرته القائلة بأنّ «للعربية تراث حضاري ربما لا تضاهيها في ذلك أية لغة في الدّنيا، ومعاجم العربية وحدها تزخر بالآلاف من الألفاظ الحضارية يمكن استرجاعها وإدخالها في الاستعمال من جديد» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2007، صفحة 110).

أمّا النّوع الثاني من أنواع الحبسة فيتعلق بمصطلح "هراء" .

2.2 مصطلح "هراء": «(أو خطل أو تبكل)

وهو اختلال في استعمال الوحدات اللغوية (في جميع المستويات أيضا)، بحيث لا يستطيع المريض أن يميز بين العناصر التي تنتمي إلى المستوى الواحد، بل حتى بين هذه العناصر وبين الألفاظ التي لا وجود لها في اللغة. فهو يستبدل عنصرا بآخر باستمرار، ويكرر نفس المعنى بعبارات مختلفة أكثر عناصرها محدثة أو محولة عن أصلها. ومن ثم هذرمته وفجفجته أي كثرة كلامه مع فساده ويمتاز هذا الداء عن السابق أيضا في فقد المريض لقدرة الإدراك والتشخيص للوحدات اللغوية التي يسمعها أو يحاول قراءتها ويسمى هذا بالعمه اللغوي[1] أو الاستعجام (وهو صمم إدراكي –لا حسي– يصحبه عمى إدراكي بالنسبة للقراءة). ولذلك لا يستطيع المريض أن يسمي الأشياء التي يشار له إليها، ولا يدرك معاني الألفاظ (بخلاف الحصر والفأفأ الذي يدرك جيّدا في الغالب عناصر الكلام ومعانيه)» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 221).

لقد جعل الحاج صالح مصطلح الهراء ومصطلح الخطل مترادفين وهو ما ذهب إليه مجمع اللغة العربية في معجم الوسيط «الهراء: الكلام الكثير الفاسد لا نظام له، ويقال رجل هراء إذا كان كثير الكلام هذّاء» (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 980) و «الخَطَل: الكلام الفاسد الكثير المضطرب، وفي حديث علي:« فركب بهم الزّلل، وزين لهم الخطل»: النطق الفاسد » (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 245).

كما يورد الحاج صالح في هذا الموضع عددا من المصطلحات التراثية كالهذرمة والفجفجة والخطل والتبكل... التي لا نكاد نجدها عند أغلب الباحثين المعاصرين، والتي يظهر من خلالها تفطّن الحاج صالح إلى ما تحمله المصطلحات من فروق دقيقة، وهو ما يعكس سعة الجانب المعرفي لهذا العالم خاصة فيما

تعلق بالتّراث اللّغوي العربي، كما أنّها تندرج ضمن المجال اللساني، فقد كان بعيدا عن اختيار المصطلحات الطبية أو النفسية التي تستعمل في الدراسات المعاصرة كمصطلح الثرثرة أو الهذيان...إلخ.

3.2 مصطلح التبليل:

ولأنّ غاية الحاج صالح في معظم بحوثه أن تكون دراساته عملية، فقد تطرّق إلى العلم الذي يعنى بعلاج مثل هذه الاضطرابات والذي سمّاه بـ " التبليل" والذي يرادف "علاج أمراض التعبير" والذي يسعى إلى إيجاد الطرق العلاجية الموائمة لمثل هذه الاضطرابات، ويبدو أنّ الحاج صالح قد استمد هذا المصطلح من لفظ البلبلة نسبة إلى الفكرة القائلة بأنّ ألسنة أهل العراق قد تبلبلت واختلفت. فيذكر في موضع من كتابه بحوث ودراسات في اللسانيات العربية:«... ونبتعد بذلك عن البلبلة اللغوية وبالتالي البلبلة الفكرية» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2007، صفحة 115).

4.2 مصطلح علم أمراض الكلام:

سيذكر صاحب النظرية الخليلية مصطلح "علم أمراض الكلام" والذي فضّله على مصطلح الأرطفونيا، كما أشار إلى ذلك "حسين نواني" «وأملنا كبير في تغيير تسمية اختصاص الأرطفونيا، الذي يبدو غريبا وغير لائق البتة. وهي التسمية التي تسبب الكثير من المتاعب للطلبة المتخرجين، الذين يترشحون لتقديم خدماتهم في الدول الأجنبية، كدول الخليج على سبيل المثال؛ والسبب أنّ هذه التسمية غير معروفة خارج فرنسا وكندا ونقترح التسمية التالية: علم أمراض الكلام، كما أملاه علينا الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح» (نواني، 2018، صفحة 221).

ويدعو الحاج صالح إلى ضرورة تكاثف الجهود بين مختلف التخصصات وتعاضدها لتحقيق الأهداف المنشودة، وإن اختلفت المناهج، فيقول في هذا الصدد:«فالجانب الواحد منها كتعليم اللغات مثلا يهم لا المتخصص في علم اللسان فقط، بل الباحثين في علوم التربية وعلم النفس وحتى الأطباء المتخصصين في علم الأعصاب والتبليل (علاج أمراض التعبير)، وكذلك الاختصاصيون في علم الاجتماع وغيرهم» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 179). ففي هذا السياق يشير الحاج صالح إلى ضرورة تضافر الجهود بين مختلف التخصصات لتحقيق الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها تعليمية اللغات، ويشير إلى مجال مهم والذي يتعلق بعلم التبليل أو (علاج أمراض التعبير)، الذي يعد من بين التخصصات البينية، تجمع بين الطبيب وعالم النفس، واللساني، فكلّ واحد من هؤلاء يساهم في العلاج بحسب مجاله وتخصّصه؛ فنجد أنّه عند عرض الحالة على «طبيب متخصّص في الأمراض

العصبية...[فإنّه] يقوم بعلاج المشكلات العصبية والفسيولوجية، ثمّ يحوّل المصاب إلى الأخصّائي اللّغوي الذي قد يشاركه أخصّائي نفسي، إذ يقوم بعمل دراسة عن تاريخ الحالة، وتطوّرها، وسبب حدوثها، وعمل الاختبارات اللاّزمة لها ... ثم يحدّد الأخصائي البرنامج العلاجي الذي يناسب الحالة، وقد يلجأ إلى تصميم وسائل تعتمد على القراءة، أو الكلام، ويبدأ الأخصّائي بتدريب المصاب ومتابعته» (الدباس، 2012، صفحة 311)، ممّا يعني أنّ أمراض الكلام حتى وإن كانت تتعلّق بالظّاهرة اللّغوية إلا أنّه يشترط في علاجها تعاون مختلف التّخصّصات (اللّسانية، والنّفسية، والطّبية) لعلاج هذه الظّاهرة. وقد يعود هذا إلى سبب رئيس يتعلّق بتعقّد الظّاهرة اللّغوية وتنوّعها، بحيث تتجلّى مظاهر الاختلال فيها في صور متنوّعة منها ما يتّصل بالمنطوق ومنها ما يتّصل بالمكتوب ومنها ما يتّصل بالإنتاج ومنها ما يتّصل بالتّلقي. وهذا ينم عن «الفائدة العظيمة التي يستمدها اللساني من مشاركته للأطباء الذين يعالجون أمراض الكلام، وذلك عندما يقومون بالبحث معا عن العلاقات القائمة بين بنى اللسان والاضطرابات التي تعتري هذه البنى عند المصابين بآفات التعبير» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 180)

3. قراءة في مصطلح "الحصر" عند عبد الرحمن الحاج صالح:

يعدّ مفهوم "أمراض الكلام" أو التي أطلق عليها الحاج صالح –رحمه الله– أيضا تسمية "العاهات الكلامية" من المفاهيم التي وردت في النّظرية الخليلية الحديثة، إذ تعتبر دراسته من الميادين التي تكشف عن مشكلات تدريس اللّغة العربية والتي تساهم في النهوض بها وتطويرها، ويعتبر مصطلح الحصر واحدا من بين المصطلحات المفتاحية في هذا الميدان.

1.3 مصطلحات لمفاهيم متقاربة :

الباحث في "مصطلح الحصر" يواجه مشكلة في تحديد مفهومه، فأغلب الدّراسات المعاصرة لم تعتمد هذا المصطلح، وإن كان في مفهومه يتقاطع مع عدد من المصطلحات التي قدّمها الحاج صالح، وقد جاء المصطلح في كتابه "بحوث ودراسات في علوم اللسان" ليدل على «(الحبسة بمعناها اللغوي الأصلي) بسبب صعوبة كبيرة في إخراج الحروف أو الكلم فإذا سلم المريض شيئا ما من هذا العسر كانت الصعوبة في إخراج الجمل، أي في تنظيمها وربطها وصياغتها» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 180).

ويبدو أنّ الحاج صالح يعتبر الحصر هو نفسه مصطلح الحبسة في التراث اللغوي العربي، ويظهر ذلك من خلال قوله:«الحبسة = (الأفازيا عند الغربيين) هي غير العاهات التي تصيب آلة النطق في ذاتها (بسبب شلل يعتري بعض الأجزاء المحركة للجهاز الصوتي) وتسمى بالعربية بالحُكْلَة.» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 180). أي أنّ الحصر يتعلّق بوجود خلل على مستوى أعضاء النطق وليس على مستوى الجهاز العصبي، وهو ما يختلف عن مفهوم الحبسة Aphasia الذي قدّمه الغربيون «أمّا "الحبسة" بمعنى الأفازيا فإنّها خاصّة بالآفات التي تصيب المراكز العصبية (في لحاء الدماغ) كالتلافيف الجبينية التي هي حيّز التحريك، والتلافيف الصدغية اليسرى التي هي حيز الإحساس السمعي وغيرهما» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 180).

كما جعل الحاج صالح مفهوم الحصر مرادفا لمفهوم المصطلح التراثي "الحكلة" الذي استمدّه من الجاحظ حيث يعرّفها الجاحظ بقوله: «فإذا قالوا: في لسانه حكلة، فإنّما يذهبون إلى نقصان آلة النطق، وعجز اللفظ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال» (الجاحظ، 1998، صفحة 40). ويقول في موضع آخر: «يقال في لسانه حكلة، إذا كان شديد الحبسة مع لثغ». (الجاحظ، 1998، صفحة 325) معنى هذا أنّ الحاج صالح يعرّف الحصر وفقا للسبب المؤدي لحدوثه، وهو سبب عضوي متعلّق بوجود خلل على مستوى آلة التصويت (الفم، واللسان، والأسنان، والحنجرة....).

وهو أيضا ما قابله مكتب تنسيق التعريب في المعجم الموحد، بالمصطلح الأجنبي Dysarthria والذي ترجمه "عبد القادر الفاسي الفهري" بعدد من المصطلحات وهي: لكنة- عسر النطق، نطاقي ، كما ترجمه أحمد أوزي بمصطلح اضطراب الكلام dysarthrie وهو «عبارة عن نقص في التلفظ لدى الفرد، ممّا يجعله يكرر مقاطع أو أجزاء من الكلمات. وقد يطلق على هذه الظاهرة اللجلجة أو الثغثغة. قد يعود أسباب اضطراب الكلام إلى أسباب دماغية، وبوجه خاصّ إلى أمراض عضوية للجهاز العصبي» (أوزي، 2006، صفحة 33). ويبدو أنّ هذا التّعريف يتّفق ومفهوم الحبسة (الأفازيا) عند الغربيين الذي أشار إليه الحاج صالح، وهو ما يوافق أيضا ما جاء به رمزي منير بعلبكي: «عجز المرء عن تأدية الوظائف الكلامية (أي إحداث الكلام وفهمه) على نحو سوي لقصور أو ضرر في الدّماغ أو المراكز العصبية الأخرى» (بعلبكي، 1990، الصفحات 51-52).

ويذكر الحاج صالح أنّ :«لهذه العاهة أسماء أخرى في اللّغة مثل الفأفأة= أن يعسر خروج الكلام (فيحدث ترديد فاء العطف خاصة) والرتة أن لا تكاد الكلمة تخرج من فم المصاب بها، وكذا اللفلفة

واللّجلجة وأخطرها العقلة وأخفها اللوث)» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 220) ؛ وإن بدت هذه العاهات الكلامية (الفأفأة، الرّتة، اللفلفة، اللجلجة، العقلة، اللّوث) متباينة فيما بينها بفروق دقيقة إلاّ أن الحاج صالح يجعلها مترادفة من حيث المفهوم العام أو اللّغوي. إذ تندرج كلها ضمن إطار الحبسة، وهو ما يثبته قوله: "وأخطرها العقلة وأخفها اللوث"، والتي تشير إلى تمظهرات الحبسة من خلال العاهات التي ذكرها الحاج صالح والتي تتدرّج من السّهل التي يمكن علاجها بطريقة سهلة إلى الأصعب التي يصعب معالجتها. فـ« يقال في لسانه حبسة، إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حدّ الفأفأة والتمتام» (الجاحظ، 1998، صفحة 39).

ويضيف صاحب النظرية الخليلية بقوله:«فالحصر اللفظي يصيب إذا كل واحد من المستويات التركيبية التي ينتظم عليها الكلام: حصر في المخارج، ثم حصر في ترتيبها، وبالتالي بنائها على كلم ثمّ ترتيبها مع لوازمها، ثم امتناع ترتيب هذه الوحدات وبناء بعضها على بعض» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 220).

2.3 أعراض الحصر:

يعتبر الحاج صالح "الحصر" من بين الحالات المرضية التي تمس النظام اللساني للفرد في مختلف المستويات اللغوية على المستوى الإنتاجي، بدءا من المستوى الصوتي الذي يضمّ وجود خلل في مستوى الوحدات الصّوتية الوظيفية (الصّوامت، والصّوائت، والمقاطع الصّوتية)، والتي صنّفها الأستاذ نواني حسب المستوى الأفقي و العمودي إلى: أ/ إصابة الأصوات التسريبية (اللثغة ما بين الأسنان، اللثغة الجانبية أو المزدوجة، ب/ إصابة الأصوات الشديدة، ج/ ظاهرة الهمس، د/ الأصوات اللينة، إصابة الصوائت. (نواني، 2018، الصفحات 80–81).

وكذا مستوى الوحدات الصّوتية فوق مقطعية (النّبر، والتّنغيم)، ومن ثمّ المستوى الصرفي، الذي يخص بنية اللفظة، وصولا إلى المستوى الأعلى منه وهو المستوى التركيبي، «ويستخلص اللّسانيون الغربيون من هذا أنّ الدّاء خاص بالمحور الأفقي الذي تندرج فيه وحدات اللغة على نظام معيّن» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 220) ؛ غير أنّ الحاج صالح يرى أنّ «المحور الأفقي (الإدراجي) ليس هو المصاب وحده لأنّ الأرت أي الذي أصيب بحصر لفظي يعجز أيضا عن تصريف الكلمة واشتقاقها، فلا بدّ إذا من أن نفترض أنّ هناك محورا تقع فيه تصاريف الكلمة أو اللفظة (أي تفريع العناصر المركبة ابتداء من الأصول البسيطة وهذا مطابق للنظرية الخليلية)» (الحاج صالح، بحوث ودراسات

في علوم اللسان، 2012، صفحة 220) ، يذكر صاحب النظرية الخليلية في هذا الموضع أمرا مهما وهو أنّ الخلل في الحصر لا يقتصر على المحور الأفقي فقط بل يتعلّق الأمر بالمحور العمودي أيضا. حيث يجد المصاب بالحصر صعوبة في الانتقال من المستوى الصّوتي إلى المستوى الصرفي، أي وجود مشكلة على المستوى التفريعي، من حيث الزيادة أو النّقصان فمثلا: قد يواجه المصاب بالحصر صعوبة في الانتقال من المفرد (كتاب) إلى المثنى أو الجمع (كتابان، كتب)، أو الانتقال من المذكر (تلميذ) إلى المثنى (تلميذة). فهو إذن يجد صعوبة في وضع الزوائد التي تلحق الأصل يمينا ويسارا. أو يكون الخلل على مستوى المحور الأفقي (التركيبي) حيث يصعب عليه تحقيق بناء التراكيب اللغوية وفقا للنموذج الذي تنبني عليه اللغة؛ فمثلا في اللّغة العربية يقدّم الحاج صالح النموذج الرياضي «[(ع⟵م$_1$)$^+$ - م$_2$) $^+$ - خ. فحرف ع هنا معناه العامل، و م$_1$ المعمول الأوّل و م$_2$ المعمول الثاني و خ المخصص» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2007، صفحة 90).

وأيّ خلل في هذا التركيب يؤدي إلى الحصر، ومثال ذلك «حذف العامل الذي يعتبر العنصر الأساسي في البنية أو حذف م1 و/ أو م2، حيث م 2 يعوّض م1، ويسبب للسامع خلطا، يلبس وظيفة المعمولين» (نواني، 2018، صفحة 144).

ولعلّ سبب اقتصار التّعاريف الغربية على المحور الأفقي أنّها لغة إلصاقية، عكس اللّغة العربية التي تعدّ لغة اشتقاقية. وقد حاول الدّارسون العرب المحدثون إسقاط هذا المفهوم على اللغة العربية رغم أنّ النّظامين مختلفان.

وما يميز الحصر أيضا أنّ «[تدرجه] في المصاب واستفحاله فيه يكون على عكس تدرج الاكتساب اللغوي عند الطفل بل هو كما يقول أحدهما «نفس التدرج معكوسا على مرآة»» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 222) أي أوّل مستوى يصاب فيه هو المستوى التركيبي ثمّ المستوى الصرفي ثمّ المستوى الصوتي.

3.3 أسباب الحصر:

يعتبر الحاج صالح "الحصر" بأنّه «فقد القدرة على الترتيب والتركيب لفقد المريض مهارته في استعمال المثل والأنماط الخاصة بإخراج الوحدات اللغوية في المستوى الأدنى أو الأقصى أو فيما بينهما.

وتزيد على ذلك العجز عن الانتقال من أحدهما إلى الآخر، فيكون كلامه إمّا غمغمة مبهمة لا تفهم (مستوى الحروف) وإما ثغثغة أو عفك (مستوى الكلم والألفاظ) أو عسلطة (وهو الكلام الذي لا نظام له) وتسمى هذه العاهة في هذا المستوى بالمصاباة (صابى الكلام: لم يقوّمه ولم يجره على وجهه)» (الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2012، صفحة 220)، فهو بهذا يعتبر أنّ الحصر يعود إلى وجود خلل على المستوى الأفقي والعمودي، والذي يتجلى في عدد من الاضطرابات التي تمس المستويات اللسانية المختلفة فتكون إمّا غمغمة والتي تخص المستوى الصوتي، أو ثغثغة أو عفك يخص المستوى الصرفي، وإمّا عسلطة وهي تخص المستوى الأعلى وهو المستوى التركيبي، وبهذا فقد اختلفت نظرة الحاج صالح في تناول مفهوم "الحصر" مقارنة بالدّارسين المحدثين، فقد كان منطلقه تراثيا من حيث اختيار المصطلح وتناول المفهوم؛ لأنّه حاول إخضاع المفهوم وفقا للنظام اللساني العربي عكس ما قام به بعض الباحثين العرب حيث حاولوا إسقاط المفهوم الغربي على اللغة العربية رغم اختلاف النظامين اللغويين، كما يذكر ذلك الدّكتور "نواني حسين" في مقدّمة كتابه الأرطوفونيا واللغة العربية.

4. خاتمة:

ممّا سبق يتبين أنّ دراسات الحاج صالح تعدّ امتدادا للرّؤية التراثية من حيث تبنيها للمصطلحات والمفاهيم الخاصّة بأمراض الكلام. وهذا يعني أنّها إعادة قراءة يتجلّى فيها الإبداع على مستوى الصّياغة؛ حيث تبنى الحاج صالح عددا من المصطلحات التراثية شكلت لديه منظومة مصطلحية ومفهومية تحيط بمجال أمراض الكلام. والتي فضّلها على المصطلحات الحديثة التي ظهرت في الدراسات المعاصرة، كما عمل على الصّياغة المنطقية للمفاهيم رغم الفوضى المصطلحية التي تميّز هذا المجال في الدراسات اللسانية العربية المعاصرة. فقد عمد إلى عرض عدد من الاضطرابات، مع حرصه فيها على عدم الوقوع في الانزلاقات التي طالت كثيرا من المفاهيم اللسانية عامّة، ومجال أمراض الكلام على وجه الخصوص.

ويعدّ مصطلح "الحصر" من بين المصطلحات التّراثية التي عمل الحاج صالح على تأصيلها وتبيين نجاعتها، من خلال مقارنته بغيره من المفاهيم اللسانية الغربية، أي أنّ دراسته تمثل إعادة قراءة لهذا المفهوم الوارد في التراث العربي بنظرة لسانية معاصرة، مستأنسا بما أفرزته اللسانيات الحديثة؛ وهو ما ينمّ عن وعيه بالمصطلح العربي التراثي والمصطلح الغربي الحديث معا.

وبهذا نستطيع القول أنّ دراسة الحاج صالح لأمراض الكلام تعتبر أرضية صلدة يمكن للباحث العربي الارتكاز عليها في فهم الاضطرابات التواصلية بصفة عامّة وتشخيصها وحتى المساهمة في علاجها، خاصّة وأنّه قدّم تحليلا يختلف عن سابقيه من حيث تشخيص الاضطراب وفقا للمستويات اللّغوية (المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي) أو من حيث الثّنائية التي جاء بها سوسير (المحور الأفقي والاستبدالي).

5. قائمة المراجع:

1. مجمع *اللغة العربية. (2004). معجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية.*
2. أوزي أحمد. (2006). *المعجم الموسوعي لعلوم التربية* . الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
3. الجاحظ. (1998). *البيان والتبيين.* (ط 7، المحرر، و عبد السلام محمد هارون، المترجمون) القاهرة: مكتبة الخانجي.
4. ضيف الله السعيد. (2017). *إسهامات عبد الرحمن الحاج صالح الجزائري في تيسير البحث اللغوي.* مجلة العاصمة: المجلد 9.
5. نواني حسين. (2018). *الأرطوفونيا واللغة العربية، مدخل إلى علم أمراض الكلام.* الجزائر: دار الخلدونية.
6. منير بعلبكي رمزي. (1990). *معجم المصطلحات اللغوية إنكليزي- عربي.* بيروت: دار العلم للملايين.
7. الأقطش عبد الحميد. (د، ت). *عيوب النطق والكلام في التراث اللغوي العربي.* مكة المكرمة: كلية اللغة العربية.
8. الحاج صالح عبد الرحمن. (2007). *بحوث ودراسات في اللسانيات العربية.* منشورات المجمع الجزائري للغة العربية.
9. عبد الرحمن الحاج صالح. (2012). *بحوث ودراسات في علوم اللسان.* الجزائر: موفم للنشر.
10. الدباس يوسف. (2012). *الاضطرابات اللغوية وعلاجها.* مجلة جامعة القدس المفتوحة والدراسات.

7. الهوامش:

1- وقد قابل عبد القادر الفاسي الفهري في معجمه هذا المصطلح بالمقابل الأجنبي /audi- muteness audi- mutité دون أن يقدّم مفهومه. (عبد القادر الفاسي الفهري، معجم المصطلحات اللسانية، انجليزي- فرنسي- عربي، دار الكتاب الجديدة المتحدّة، د ط، د، ت، ص 26.)